

تفسير السعدي

@ 199 @ من أعظم مقويات القلب . ومنها : أن الذكر ﷻ تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء . كما قال تعالى : ! 2 2 ! . فأمر بالإكثار منه في هذه الحال ، إلى غير ذلك من الحكم . وقوله : ! 2 2 ! أي : إذا أمنت من الخوف ، واطمأنت قلوبكم وأبدانكم ، فأقيموا صلاتكم على الوجه الأكمل ، ظاهرها وباطنها ، بأركانها وشروطها ، وخشوعها ، وسائر مكملاتها . ! 2 2 ! أي : مفروضا في وقته . فدل ذلك على فرضيتها ، وأن لها وقتا ، لا تصح إلا به ، وهو هذه الأوقات ، التي قد تقرر عند المسلمين ، صغيرهم ، وكبيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : (صلوا كما رأيتموني أصلي) . ودل قوله : ! 2 2 ! على أن الصلاة ميزان الإيمان ، وعلى حسب إيمان العبد ، تكون صلاته ، وتتم وتكمل . ويدل ذلك ، على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة ، ولا يؤمرون بها ، بل ولا تصح منهم ، ما داموا على كفرهم ، وإن كانوا يعاقبون عليها ، وعلى سائر الأحكام ، في الآخرة . ! 2 2 ! أي : لا تضعفوا ولا تكسلوا ، في ابتغاء عدوكم من الكفار ، أي : في جهادهم ، والمرابطة على ذلك فإن وهن القلب ، مستدع لوهن البدن ، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء . بل كونوا أقوياء ، نشيطين في قتالهم . ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين ، فذكر شيئين : الأول : أن ما يصيبكم من الألم ، والتعب ، والجراح ونحو ذلك ، فإنه يصيب أعداءكم . فليس من المروءة الإنسانية ، والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم ، وأنتم وهم وقد تساويتم فيما يوجب ذلك . لأن العادة الجارية ، أن لا يضعف ، إلا من توالى عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام . لا من يدال له مرة ، ويدال عليه أخرى . الأمر الثاني : أنكم ترجون من الله ما لا يرجون . فترجون الفوز بثوابه ، والنجاة من عقابه . بل خواص المؤمنين ، لهم مقاصد عالية ، وآمال رفيعة ، من نصر دين الله ، وإقامة شرعه ، واتساع دائرة الإسلام ، وهداية الضالين ، وقمع أعداء الدين . فهذه الأمور ، توجب للمؤمن المصدق ، زيادة القوة ، وتضاعف النشاط ، والشجاعة التامة ؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي ، إن ناله ، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية ، والفوز برضوان الله وجنته . فسبحان من فاوت بين العباد ، وفرق بينهم بعلمه وحكمته . ولهذا قال : ! 22 ! كامل العلم ، كامل الحكمة . ^ (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما * ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما * يستخفون من الناس ولا يستخفون

من اﻻ وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان اﻻ بما يعملون محيطا * ها أنتم ه
ؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل اﻻ عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم
وكيلا * ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اﻻ يجد اﻻ عفورا رحيمًا * ومن يكسب إثما
فإنما يكسبه على نفسه وكان اﻻ عليما حكيمًا * ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتانًا وإثما مبينا * ولولا فضل اﻻ عليك ورحمته لهتمت طائفة منهم أن يضلوك وما
يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل اﻻ عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل اﻻ عليك عظيما) ^ يخبر تعالى ، أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق ، أي
: محفوظ في إنزاله من الشياطين ، أن يتطرق إليه منهم باطل . بل نزل بالحق ، ومشملا
أيضا على الحق . فأخبره صدق ، وأوامره ونواهيه عدل ! 2 2 ! . وأخبر أنه أنزله ليحكم
بين الناس . وفي الآية الأخرى : ! 2 2 ! . فيحتمل أن هذه الآية ، في الحكم بين الناس ،
في مسائل النزاع والاختلاف . وتلك في تبين جميع الدين ، وأصوله ، وفروعه . ويحتمل أن
الآيتين كلتيهما ، معناه واحد . فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في
الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد ، وفي جميع مسائل الأحكام . وقوله : !
2 2 ! أي : لا بهواك ، بل بما علمك اﻻ وألهمك . كقوله تعالى : ! 2 2 ! . وفي هذا
دليل على عصمته صلى اﻻ عليه وسلم ، فيما يبلغ عن اﻻ من جميع الأحكام